

الشيخ الدكتور “جعفر المهاجر” المؤرخ العالمي الأول الذي يعيد للتاريخ بريقه تحقيق عن المكتبة التاريخية التراثية وسيرة البحث التاريخي عند الشيخ المؤرخ المهاجر

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

هو كسر العرف الاجتماعي القائل إن الصبي الوحيد للعائلة يُدَلَّل حتى يُفسد، سار في درب مفاير تماماً. سأل جده الشيخ حبيب حين كان في الرابعة عشر من عمره بعدما عاد من حوزة النجف الأشرف:» كيف تمكنت من إرسالني للنجف وأنا في عمر عشر سنوات؟ فالتفت إلي وقال لي :«يا جدي؛ أنت كنت في نظرنا كبيراً ..!!»، هل يعقل أن ترى اليوم كتب التراث التاريخي التي ابن عشر سنوات يقرأ أقدم كتب التراث التاريخي التي تحتكم إلى لغة عربية بلسان فصيح يحوي أعقد العبارات والمصطلحات؟!.. في أيامنا بات صعباً تصديق مثل هذه الرواية، ولكن المؤرخ العالمي الدكتور الشيخ جعفر المهاجر حُطّ لحياته هذا المسار من قبل عائلته وهو تقبله سعيداً معتزاً وبذل كل جهده ليكون فخر العائلة وفريدها. الرحلة مع الكتاب، قراءة ومطالعة واقتناء، بدأت وهو لم يتجاوز العشر سنين، وقع نظره على كتاب الشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي، في مكتبة جده العلامة الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العالمي (١٨٨٦ – ١٩٦٥) ؛ كانوا يومها في خمسينيات القرن الماضي يستمعون إلى قصص الحكواتي وكان كتاب الكراچكي واحداً من الكتب النفيسة التي تروي القصص الغربية. يروي الشيخ المؤرخ أن الكراچكي كان جوالاً بدأ من العراق وكل الساحل وإلى فلسطين وفي طرابلس في لبنان، روى في كتابه قصص الإمارات الشيعية التي لا ذكر لها أبداً في كتب التاريخ المعتمدة. هذا الشيخ الكراچكي هو أول من أنشأ الصلة بين شيعة الشام وشيعة العراق حين ذهب إلى بغداد ودرس عند الشيخ المفيد ورجع إلى بلاده؛ ومنذ ذلك الوقت انفتح الطريق لتشكّل صلة فكرية وثقافية ودينية بين المنطقتين، حيث كان التشيع آنذاك مختلفاً عما نعرفه اليوم. هذا الكتاب تعلق به وهو في تلك السن طلب من جده أن يسمح له بأخذه معه إلى النجف، بقي معه طوال سني دراسته حتى عودته إلى مسقط رأسه في بعلبك، ولا يزال إلى اليوم في مكتبته النفيسة. ويؤمن الشيخ المؤرخ أن القدر الإلهي شاء له أن يعود ويؤلف كتاباً خاصاً عن الشيخ الكراچكي، ولشدة فرادته أصبح الكتاب مرجعاً أوحداً عن هذا العالم الجليل.

كان شغوفاً بالمطالعة وهو ابن سبع سنين، العائلة كلها كانت تصبّ اهتمامها عليه ليصبح ذي شأن، وكان لافتاً أن الصبي قد بدأ يقيم وزن الشعر العامودي، فعقد معه جده العلامة الشيخ حبيب صفقة بأن يعطيه ربع ليرة على كل بيت شعر ينظمه. وأضحت جيبه لا تخلو من القروش. كانت فيما بعد عونا له ليشترى ما يحلو له من الكتب.

وعلى حادثة سنه يجمع الكتب، أضحي عنده اليوم وهو في عمر ٧٤ عاماً، أكثر من ٢٠ ألف كتاب. إلا أن تلك المرحلة كانت ممهدة لمرحلة لاحقة، انتبه فيها الدكتور المهاجر إلى أن تاريخ الشيعة في العالم العربي وفي العالم عموماً غير معني به، هذا فضلاً عن التشويه الكبير الذي يلحق به في كتب التاريخ المعتمدة

والتي تعدّ ذات ثقة رسمية من قبل الشعوب وأصحاب الحضارات في العالم. وهذا ما أرّقه للغاية. فأتخذ لنفسه منذ أربعين عاماً خطأ علمياً يولي اهتمامه بالتاريخ الشيعي في العالم، وبشكل خاص للتاريخ الشيعي في المنطقة الشامية. يقول المؤرخ المهاجر: «نحن نغالي من أزمة مستحكمة مع التاريخ السبب أن من يكتب التاريخ يعبر عن اعتزازه بحضوره في الحركة التاريخية، ونحن الشيعة غالباً لم تكن في موقع السلطة. وحتى الذين ينتسبون إلى التشيع لم يدخلوا إلى السلطة بهذه الصفة. فالبويهيون الذين حكموا قسماً واسعاً من مشرق العالم الإسلامي العراق والعجم وإيران هؤلاء دخلوا في سياسة المنطقة بصفتهم مغامرين عسكريين وليس بصفتهم شيعة. وعلى كليس حال هم لم يكونو شيعة على الأرجح كانوا زيديين. لم تكن في مواقع تجعلنا نملك الحوافر لكتابة التاريخ. لذلك فإن وجودنا في التاريخ كانت تتلاعب به السلطات المحلية. وذلك لسببين: السبب الأول؛ أن كل من يملك السلطة يحاول أن يملك التاريخ، وهذه قاعدة معروفة وتقدم بشكل مبهرج. وقد يقال إن من يكتب التاريخ هو من يملكه. هذا وهم لا أحد يملك التاريخ. التاريخ نهر جارٍ نحن كلنا واقفون على ضفافه، فالناحية يملك الكل. إضافة إلى ذلك، إنه جرت العادة أن من يكتب التاريخ يحتله ويغيب الآخر. ومن هنا فإن المنطقة الشامية الممتدة بين عسقلان وبين الباب التركي ومن البحر إلى البادية منذ القرن الثاني إلى القرن السادس، ما عدا المدن الرئيسية، بشكل خاص دمشق حيث مركز السلطة وقوتها، كان تاريخ الشيعة فيها مقبولاً على مستوى كبير دفعني لكتابة تاريخ الشيعة لأن هناك ما يستحق أن نحفره منه تاريخنا الخاص..».

وكان لدى الدكتور المهاجر قناعة ثابتة دفعته هي الأخرى للنش في التاريخ الشيعي والبحث عنه وكتابته، أن المنطقة الشامية كانت مليئة بالأسرار، «أسرار تاريخنا كله»، وكان هذا التاريخ مدفوناً عند أهله لا أحد يعرف عنه شيئاً. وفي هذا النطاق سادت أساطير عديدة تقدم تفسيرات خيالية لبعض الظواهر التاريخية التي هي محل تساؤل الناس. ومن ذلك مثلاً: إن سبب تاريخية الشيعة في البقعة المباركة في جبل عامل يرجع إلى صاحبني الجليل أبي ذر الغفاري.» وهذا تفسير علمي صغير»، كما وصفه الشيخ. إلا إنه في المقابل لم يتف كلية احتمال مرور الصحابي الغفاري على المنطقة والأثر الذي تركه فيها، إنما مروره هذا كان سريعاً وعابراً، وتالياً هو أصغر بكثير من ظاهرة كبيرة كانت تجتاح المنطقة الشامية كلها. وهذه الراوية شفوية تناقلتها الأجيال، التي أردت تشريف تاريخها الضائع، بل إن ظاهرة التشيع في جبل عامل هي ظاهرة أكبر من جبل عامل تتصل بالتشيع في المنطقة الشامية التي كانت في البلاد ما قبل القرن الرابع. ويتابع الشيخ المؤرخ روايته مع التاريخ الشيعي وقصة

رحلات سفر عديدة وطويلة كان يقوم بها مراراً في سبيل تأمين ما يلزمه من كتب ومراجع ومصادر لمكتبته ولأبحاثه التاريخية الخاصة. مصر وسوريا كانتا البلدين الأبرز في هذه الرحلات إضافة إلى إيران والعراق. حيث يعود منهم بشحنات كبيرة من الكتب بلغات أربع: العربية والإنكليزية والفرنسية والفارسية، وهي اللغات التي يتقنها الشيخ ويقرأ بها.

مكتبة الشيخ المهاجر لضخامتها ليسعها مكان واحد، لذا هي موزعة بين مكانين أساسين: الأول في مركز «بهاء الدين العالمي» حيث تجري عملية بناء وتركيب في الوقت الراهن لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الكتب والمراجع. والمكان الثاني هو في منزل الشيخ نفسه حيث يخصص لها الطابق العلوي متوزعة على الغرف ورفوفها. والمكتبة، سواء في المركز أو في منزل الشيخ، هي منظمة بشكل علمي منهج. والقسم الأكبر من هذه المكتبة الثرية يحتهل التاريخ. ويشرح الشيخ المهاجر أن لكتب التاريخ في مكتبته قسمين: الأول تاريخ حديث والثاني تاريخ شخصي. التاريخ الحديث، يحكي الأحداث. وهو بدوره قسماً؛ قسم أمهات الكتب يُعنى بالاصول التاريخية؛ وقسم أبحاث ونصفه في تاريخ الأمهات ونصفه الآخر في الأبحاث. ولكن الأهم عند المؤرخ المهاجر «تاريخ الرجال»، الأشخاص؛ السير؛ أو ما يسمونه طبقات أو أعلام أو رجال أو تراجم؛ والمؤدى واحد. وهي مع كبرها تعدّ من أكثر المصادر براءة بالنسبة للمؤرخ.. إذ لا يؤمن الشيخ المهاجر بأن هناك مؤرخاً حيادياً. إذ دائماً المؤرخ يكون مرئياً من قبل السلطة وبراعيها، فالمسعودي وابن الأثير مشهوران بأنهما أكثر المؤرخين سلطوية، بشكل مفاير تماماً للحوال البيروني (نسبة إلى بلدة يونين البقاعية) الذي يعد كتابه أكثر الكتب براءة كونه كان يعتاش من الأرض ولم يكن ييمه أحد من السلطة.. لذلك الجزء الكبير المقتدى به في سير الأعلام والتراجم والطبقات..

ولم يغفل العالم الفقيه الشيخ المهاجر أن تشكل الكتب الفقهية جزءاً من مكتبته، وهي تحتل القسم الثاني من حيث الحجم والأهمية لكتب التاريخ، ومن ثم تأتي كتب تفسير القرآن الكريم والحديث، والقسم الثالث الشعر والشعراء. والجغرافيا أيضاً لها حيز مهم في المكتبة الضخمة، حيث يراها «المهاجر»، مرجعاً أساسيا في العديد من المحطات وتزود بمعلومات مهمة لا تذكرها كتب التاريخ، ونجدها في البلدانات وكتب الأنساب والتي يعتني بها المؤرخ كثيراً. كتب الأدب هي الأخرى لها موقعية خاصة في هذه المكتبة إذ تعدّ من المراجع الاساسية في كتابة التاريخ ففيها ما هو أقرب للواقع والحقيقة أكثر من كتب المؤرخين التابعين للسلطة. أما المخطوطات فلها حكاية أخرى، هي ليست كثيرة ولكنها مخطوطات نادرة توجد في هذه المكتبة البعلبكية العالمية التراثية. ويقول الشيخ المؤرخ إنه فعلاً لم يكن مهتما

بالمخطوطات غير أنه في رحلاته المتعددة وقع بين يديه عدد منها ويصل عددها اليوم نحو العشرين. منها واحدة لأحد علماء بلدة الكرك البقاعية الذين لا ذكر لهم في كتب التاريخ، وهي مكتوبة بخط يده. والمقصود بالمخطوطة أنها كتاب مكتوب بخط اليد في مقابل المطبوع. وقد تكون مكتوبة بخط صاحبها فنقول عنها أصلية. وبممتلك الشيخ في مكتبته مخطوطات لعالم من «أبي زيد» الذي انحدر من الكرك البقاعية إلى جزين الفرعان شيعي ومسيحي. ومخطوطة أخرى جميلة جداً بخط المستعليق للملا الشيرازي. غير أن هناك مشكلة كبيرة يواجهها الشيخ للحفاظ على جودة هذه المخطوطات. إذ إنها تتطلب مكاناً خاصاً مجهز علمياً ليحفظ هذه المخطوطات ويحافظ عليها من الرطوبة والتلف. وللأسف لا يوجد في لبنان مثل هذه الإمكانيّة تساعد في ذلك. لذا هو يقوم أحياناً بوضع بعض هذه المخطوطات في «البراد» لحمايتها والإبقاء على حياتها أطول فترة ممكنة.

■ «مركز بهاء الدين العالمي» والبحث في التاريخ:

باشر الشيخ الدكتور جعفر المهاجر رحلته في البحوث التاريخية منذ أربعين عاماً، يواصل فيها دأبه ويحفر في الماضي السحيق والقريب. ومثل أي عالم فذ قد يشده حدث ما إلى تتبع مسار محدد في حياته، وقع «المهاجر» تحت تأثير حبه للشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العالمي، المعروف بالشيخ البهائي. وتعلّق به وكان كتابه «الكشكول» نقطة الانطلاق الأكبر له نحو متابعة البحث التاريخي بشكل أكثر جدية. إذ تبين له أن متابعة سيرة الشيخ البهائي يقتضي منه العودة إلى ذلك الماضي الذي تأسس به التشيع في المنطقة والذي انبثق فيما بعد في بلاد العجم «إيران». فالشيخ البهائي لا يزال إلى اليوم يعد الشخصية الأبرز في إيران، نظراً لدوره الكبير والساطع في إخراج التشيع في إيران من حال الميل الشخصي ذات الولاء الغامض إلى موقع الإمام العارف، أي من موقع المؤمن البسيط السطحي إلى موقع المؤمن العارف. من هنا أصدر المراجعين من الزمن وأنجبت مئات العلماء والاف المؤلفات. ففي مرحلة تاريخية محددة كان هناك منطقة وحيدة مضينة في كل المنطقة الشامية اسمها «جبل عامل». وجبل عامل- كما يقول «المهاجر»- ليس له حدود جغرافية؛ هو ليس دولة بالمعنى السياسي بل هو حال ثقافية دينية غير محدودة



بمكان. بدأت في جزين «بلندا السليبي»، وامتدت من مشغرة إلى كرك نوح في البقاع وإلى كل قرى البقاع الغربي والأوسط، «لذلك عندما تأخذين كتاب «أمل الآمل الحر العالمي تجددين أنه يهتم بالأعلام الكبار العظام الذين خرجوا من كرك نوح. ولاحظني أنه سمي «العالمي»..! من هنا نعرف أن جبل عامل ليس له حدود جغرافية..».

والجدير بالذكر أنه بعد هذه النهضة حدث انهيار كبير في جبل عامل بفعل اضطهاد العثمانيين الذين ظلوا يلاحقون العالميين حتى العام ١٩١٨، فحدث هجرة جراء هذا الاضطهاد إلى آسيا وإيران والهند، فانتشر التشيع بشكل كبير في هذه الأقطار. كل هذه الموضوعات أُلّف فيها الشيخ المهاجر الكتب والأبحاث. إلى اليوم، وصل تعداد الكتب التي طرحها الشيخ المؤرخ نحو ثلاثين كتابا في تاريخ الشيعة في المنطقة العربية وفي العالم، وآخرها كان كتاب «التاريخ السري للإمامة»، بين فيه أسرار تاريخية حول العمل السري الذي قاده الأئمة عليهم السلام منذ الإمام الصادق حتى الإمام العسكري. «في الحقيقة نحن موجودون بفضل هذه المرحلة التاريخية. وسابقا كانت المرحلة عبارة عن استيعاب للحدث وليس صنعه. فع الإمام الصادق إلى الإمام العسكري بنيت ذاتنا كموالين لأهل البيت عليهم السلام، وبدأ يصبح التشيع الظاهرة الأكثر نشاطا وفعالية».

المميز في «مركز بهاء الدين العالمي»، في مدينة بعلبك، أنه يقدم مؤلفات الشيخ المهاجر ببسر وسهولة إلى كل المهتمين عبر طرحها في متناول اليد من جهة، إذ توزّع مجاناً، وإرسالها إلى دور النشر للمشاركة في المعارض العربية، ومن جهة ثانية ينشر هذه الكتب على الموقع الإلكتروني للمركز. وهناك تجاوب كبير مع هذه المؤلفات التي انفتحت أمامها الحدود الجغرافية بشكل كبير. يختم المؤرخ الكبير الدكتور جعفر المهاجر حديثه إلى مجلتنا: الحمد لله قطعنا مسافة جيدة في كتابة التاريخ الشيعي، إذ خلقنا للجيل القادم عناوين مهمة وأرضية جيدة، والأهم عندي العناوين. ففي السابق لم يكن هناك من عنوان أصلا .. فسلمنا لهذا الجيل المفاتيح التي سينطلق منها، وبشكل خاص لمنطقتنا الشامية، التي لم تحظ بتاريخ مشرف إلا مع مجيئ النبي الأعظم عليه السلام التي جعلت ممّا أمة ذات حضارة..».

المصدر: مركز أوأل

للدراست والتوثيق

شعر وقصيدة



مدح الإمام

محمد بن علي الباقر عليه السلام

أثني بكل فمي بمدح عاطر بالسيد العلم الإمام الباقر من جده المبعوث أحمد ذو العلا والأم الزهراء ذات المآثر قد أبلغ المختار خير تحية نحو الإمام على لسان الجابر بقر العلوم وغاص في أوساطها فهو العليم بما مضى والغابر تنساب كالشلال منه معارف إذا ما رقى للدرس صهو منابر عيناه كالمصباح تجلو في الدجى ويده جودا كالسحاب الماطر في داره تلقى هنا مستطيعا وهناك مستفت لملاء محاضر العلم في جنباته متموج وترائه مثل عباب بحر زاخر في الليل كالنساك يلبس برنسا يبكي إلى الله الودود الغافر أخلاقه مثل النسيم لطافة إذ ما يسير على الأديم الزاهر في هيبة أخاذة فكبارهم في جنبه مثل الصبي الصاغر يهدي إلى سبل الرشاد محذرا للناس من أهوال يوم آخر

نصيحة نفسية



إن مرّت بك مشاعر الإنطفاء والخيبة، إن أتعبك الطريق وتاهت بك الخطوة، حتى تلك الندوب التي في أعماقك مخفيه، لا تحزن؛ لكل حدث في حياتك قسمة وحكمة، مهما ضاقت سيضئي الله في ظلامك شمعة، سيزول مافي القلب من غصه. كن في الضمود قدوة، ستصل يوماً الى القفه. لا تيأس! نور الله أقوى من كل عتمة.



نرحب بأراء القراء الأعزاء

عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444@gmail.com